غزوة حمراء الأسد

كان منصرف رسول الله ﷺ من «أُحُد» يوم السبت الخامس عشر من شهر شوال من السنة الهجرية الثالثة، وفي اليوم التالي أذَّن مؤذنه بطلب العدو، وأمر ألاَّ يخرج معه إلا من حضر معه بالأمس، وكان خروج رسول الله ﷺ ترهيباً للعدو، ودلالة على أن في المسلمين قوة وبأساً لم يكن لهزيمة الأمس عليهما أي تأثير، مما يضعف قيمة الانتصار الذي حققه العدو، ويجعله في حالة من القلق والتربص والخوف الدؤوب.

وكان «عبد الله بن عمرو بن حرام» أحد نقباء الأنصار، وقد أكرمه الله بالشهادة يوم «أحد» فجاء ابنه «جابر» إلى رسول الله ﷺ وأخبره أن أباه ترك له سبع أخوات، وأنهن يحتجن إلى رجل يقوم عليهنَّ، ويصرِّف شئونهن، وأنه يستأذن رسول الله ﷺ في التخلف عليهن، فأذن له ولم يخرج في هذه الغزوة، ثم خرج رسول الله ﷺ بالمسلمين إلى «حمراء الأسد» يطلبون «أبا سفيان» ومن معه من المشركين، وهي على ثمانية أميال من المدينة، حتى انتهى إليها، واستخلف على المدينة (ابن أم مكتوم)، ومر بالنبي ﷺ «معبد الخزاعي» وكانت خزاعة مسلمها ومشركها جميعاً عيبةَ رسول الله ﷺ ـ أي: موضع سره ـ بتهامة، صفقتهم معه، لا يخفون عليه شيئاً مهما يكن شأنه ـ وكان معبد مشركاً يومئذٍ، فقال: يا محمد! أما والله! لقد عَزَّ علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله كان أعفاك فيهم!

ثم خرج من عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد، فلقي «أبا سفيان» والمشركين بالروحاء، وهم يريدون الرجوع للقضاء على المسلمين واستئصال شأفتهم، فلما رآه (أبو سفيان)، قال: ما وراءك يا معبد؟ فقال: إن «محمداً»

وأصحابه خرجوا يطلبونكم في جمع غفير، لم يسبق له نظير، وهم يتحرقون عليكم تحرقاً، وقد خرج معه من أصحابه كل من تخلفوا عن الخروج بالأمس، وقد ندموا على ما صنعوا، وفيهم من الحنق عليكم ما لم أر مثله قط. قال أبو سفيان: ويلك؟ ما تقول؟ قال معبد: والله! ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال أبو سفيان: فوالله! لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك، فوالله! لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر، قال: وماذا قلت؟ قال: قلت[1]:

كادت تُهَدُّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجُرْد الأبابيلِ
تَرْدي بأُسْدٍ كرام لا تنابلةٍ ... عند اللقاء ولا خُرقٍ مَعَازيلِ
فظَلْتُ عدْواً أظن الأرض مائلةً ... لما سموا برئيس غير مخذولِ
فقلت: ويلَ ابن حربٍ من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيلِ
إني نذير لأهل البَسْلِ ضاحيةً ... لكل ذي إربة منهم ومعقولِ
من جيش أحمد لا وَخشٍ تنابلة ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

وقال «صفوان بن أمية بن خلف»: لا تفعلوا فإن القوم قد غضبوا غضباً شديداً، ونخشى أن يكون لهم قتال غير الذي كان، فارجعوا، فرجعوا.

ومر بهم ركب من عبد القيس، فسألهم «أبو سفيان»: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة، قال: ولِمَ؟ قالوا: نريد الميرة، قال: فهل أنتم مبلغون عني «محمداً» رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمِّل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: إذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ فأخبروه بالذي قال «أبو سفيان» فقال رسول الله ﷺ: (حسبنا الله ونعم الوكيل). ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن أقام فيها ثلاثة أيام: الإثنين والثلاثاء والأربعاء، وكان المسلمون يوقدون كل ليلة خمسمائة نار

(١) الأبيات في الطبري (٢/٥٣٧).

متفرقة حتى إذا رآها الرائي من بعيد ظن الكثرة بمن عندها، وأيقن بالخطر، وملىء رعباً وفزعاً. وكان رسول الله ﷺ قد ظفر في وجهه إلى حمراء الأسد بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، كما ظفر بأبي عزة الجمحي الشاعر الذي امتن عليه يوم بدر وأطلقه بدون فداء لأنه ذو عيال بعد أن وعده ألاَّ يحرض على المسلمين ولا يؤذيهم بلسانه، فأمر بقتله لنقضه عهده، وخروجه إلى أحد ظهيراً للمشركين، فقتل وكذلك جزاء الظالمين!

obeikandl.com